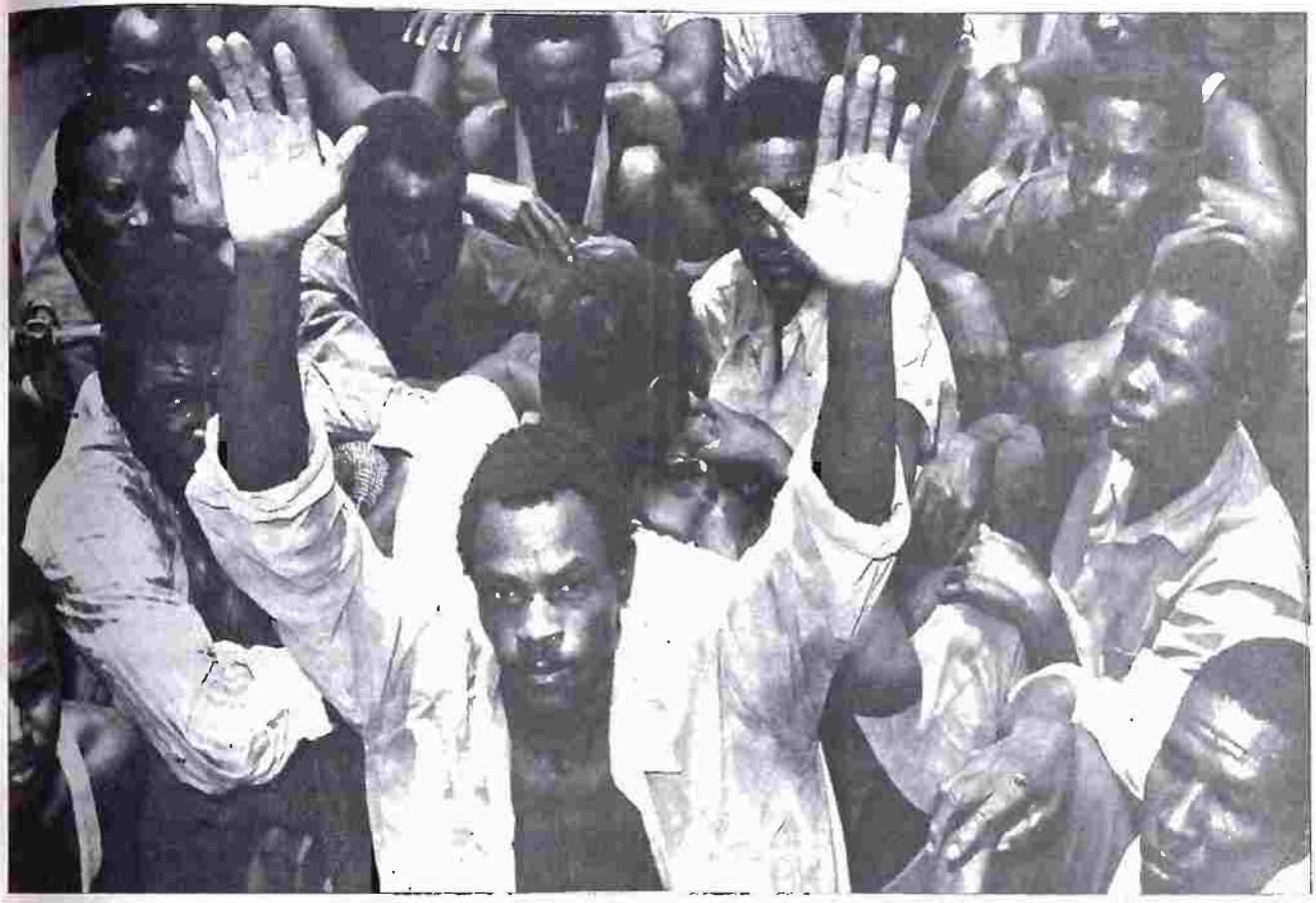

● المرتزقة والمضللون والغزاة فى أحداث يوليو الماضى.

الأسباب الحقيقية لترحيل الخبراء السوفيت

●● ما هى الأسباب الحقيقية لإنهاء عقود الخبراء السوفيت فى السودان . لماذا طلبت الخارجية السودانية تقليص عدد الدبلوماسيين السوفيت فى الخرطوم . وما هو النشاط الحقيق الذى يزاولونه فى السودان ؟ . .

● إن توقيت إعلان القرار السياسى بإنهاء عقود الخبراء السوفيت فى السودان وترحيلهم خلال سبعة أيام إلى موسكو كان مفاجأة كبيرة لموسكو بقدر ما كان مفاجأة أيضا لسفيرهم فى الخرطوم . . وخاصة أن البيان الرسمى الخاص بإنهاء عقود الخبراء السوفيت . . لم يخرج من الخرطوم فقط بل أعلن أيضا وفى وقت واحد فى كل من باريس ولندن خلال الزيارة الرسمية التى كان يقوم بها الرئيس السودانى جعفر محمد نميرى . .

لقد كانت موسكو تتوقع هذا القرار عام ١٩٧١ . . عندما قررت الحكومة السودانية طرد المستشارين السوفيت الذين كانوا يعملون فى جميع ألوية القوات المسلحة السودانية . . بعد الخطبة الكبرى التى ارتكبها السوفيت فى حق الشعب السودانى والتى تمثلت فى الانقلاب الشيوعى الذى تزعمه هاشم العطا والذى جاء بعد أقل من شهرين من ثورة ١٥ مايو التصحيحية فى مصر ، كخطوة لإقامة نظام عميل للسوفيت وبالتالى معاد لنظام الحكم فى مصر ليحول السودان إلى قاعدة للانقضاض على مصر . إلا أن عودة نميرى بعد فشل الانقلاب الشيوعى أدى بالسوفيت إلى تغيير تكتيك تحركهم بحيث لا يكون التركيز على السودان للضغط على مصر بل التركيز على مصر والسودان معا عن طريق ليبيا الذين وجدوا عن طريق القذافى موطئ قدم بها . وأيضا كانت موسكو تتوقع قرار طرد الخبراء السوفيت من السودان بعد أحداث يوليو الدموية عام ١٩٧٦ . على إثر اكتشاف الدور الأساسى الذى لعبته فى محاولة الغزو التى عن طريق المرتزقة حيث قام بتدريبهم

● معرض الأسلحة السوفيتية فى الخرطوم بعد الغزو الخارجى على الخرطوم.

السوفيت وتم تسليحهم بأسلحة سوفيتية.

إلا أنه بعد الغزو الليبى السوفيتى للسودان فى يوليو ١٩٧٦ اتخذت أجهزة الإعلام السوفيتى الصمت أمام الاتهامات السودانية عن دور السلاح السوفيتى فى الغزو بل التزمت الدبلوماسية السوفيتية الصمت بالنسبة للعرض الكبير الذى أقيم فى الخرطوم والذى ضم أسلحة سوفيتية من مخلفات الغزو.

بل بالعكس بدأت تحركات تكتيكية من جانب السوفيت تمثلت فى عروض الإسراع بإرسال قطع الغيار المتأخرة للسلاح السودانى. وقام رئيس هيئة الأركان السوفيتية بزيارة ودية للسودان بعد الغزو وكان الحديث خلال الاتصالات السوفيتية السودانية بعد الغزو يتسم بود مصطنع من جانب السوفيت وحذر شديد من جانب السودان إلا أن المعلومات المتوافرة فى الخرطوم كانت تفيد بالتحركات الجديدة للنظام الليبى الموظف لخدمة الاستراتيجية السوفيتية ضد السودان ومصر. والسلاح السوفيتى الذى يفوق طاقة الجيش الليبى للدفاع والهجوم معا ثم كان هناك ما يفيد أن ٧٠٪ من عناصر تشغيل الطيران الليبى يقوم بها السوفيت فى ليبيا وأن طلعات جوية فوق الحدود السودانية المصرية كان يقوم بها طيارون سوفيت.

●● وهنا يبقى سؤال يردده البعض وهو.. لماذا كان الصبر الطويل من جانب السلطات السودانية على الوجود السوفيتى المتمثل فى الخبراء العسكريين السوفيت الذين لا يتعدى عددهم أكثر من تسعين خبيرا؟.

وللإجابة على هذا السؤال لابد من الرجوع إلى حجم التهديد الذى يواجه السودان من صنع السوفيت فى أثيوبيا وليبيا، وإلى نوعية التسليح المتوافرة فى الجيش السودانى.. والذى كان معظمه سلاحا سوفيتيا وكان الاستغناء عن الخبراء السوفيت وأغلبهم خبراء صيانة يعنى تجميد القوة الدفاعية السودانية ولو جزئيا.. إلى جانب أن نشاط الخبراء السوفيت ظاهريا كان يبدو محايدا.

إلا أن السودان يتحرك وتنويع السلاح يحصوله على أسلحة دفاعية وهجومية وأجهزة استطلاع متقدمة استبانت له جوانب كثيرة فى الدور غير المرئى لنشاط الخبراء السوفيت فلقد اتضح أن بعضهم كان يغادر السودان تحت حجة قضاء إجازات إلا أنه كان يتجه من الخرطوم إلى طرابلس مباشرة حيث كان يشرف على شحن المرتزقة المتواجدين فى الأراضى الليبية إلى أثيوبيا عبر الأراضى السودانية مستخدما معرفته بمواقع الرادارات السودانية للمساعدة على تجنبها. علما بأن مدى طائرات النقل الكبيرة لا يتيح الطيران من طرابلس إلى أديس أبابا إلا عبر الأراضى السودانية وإلا اضطرت للهبوط فى محطات تكشف عن طبيعة مهمتها.

وبعد أن اكتشفت السلطات السودانية ذلك وغيرت مواقع الرادارات تقلصت حركة النقل بين طرابلس وأديس أبابا الأمر الذى يؤكد دور هؤلاء الخبراء بالإضافة إلى أن السلطات السودانية كانت قد رصدت حركة النقل من طرابلس إلى أديس أبابا عن غير طريق السودان وكان الرد على استفسارها من الجانب السوفيتى بأنها تحمل شحنات كتب من ليبيا إلى أديس أبابا.

وكانت الإجابة مدعاة للسخرية فالمعروف أن المطابع الليبية لا تطبع باللغة الأمهرية، والمعادون للعرب فى الحبشة لا يطيقون باللغة العربية..

ولهذه الأسباب.. ولأسباب أخرى.. تتعلق بأمن السودان.. بسياسته الخارجية.. اتخذ هذا القرار الحاسم الذى رفع كابوسا ثقيلا كان يجثم سنوات طويلة على معنويات أفراد القوات المسلحة السودانية.. حيث نفور «إنهاء عقودهم» وبعض أدق «طردهم» فى مدة لا تزيد على أسبوع.. وخاصة بعد ما نجحت الاتصالات التى تمت أخيرا بين السودان وكل من باريس ولندن وواشنطن.. والتى كانت تهدف إلى تنويع مصادر السلاح فى جميع المجالات سواء الدفاعية منها أو الهجومية..

● وأبلغ دلالة على ذلك.. ما أكده الفريق أول محمد على بشير وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة السودانية خلال حديثه معى.. عن نتائج المحادثات السودانية الفرنسية التى تمت الشهر الماضى.. إذ وصفها «بالإيجابية والنجاح الكامل» فى جميع النواحى وخاصة الجانب العسكرى منها...

وأضاف قائلا: «لقد اتفق معنا الفرنسيون على المساهمة فى تزويد قواتنا المسلحة ببعض المعدات اللازمة لها فى إطار خطتنا لتنويع مصادر السلاح بعد أن عانينا من المصدر الواحد من قبل».

وعندما تطرق الحديث حول الآثار المترتبة بعد إنهاء الخبراء السوفيت. قال بالحرف الواحد:

«لقد جاء قرار إنهاء مهام الخبراء السوفيت تتويجا لعوامل متعددة لعل أهمها أن هؤلاء الخبراء كانوا يقدمون المشورة فى بعض الجوانب الفنية فى المعدات العسكرية وللقد فقدت أهميتها بعد أن استوعب ضباطنا وجنودنا الجوانب الفنية التى كان يشرف عليها هؤلاء الخبراء. إضافة إلى أن الاتحاد السوفيتى أوقف إمدادنا لنا بقطع الغيار مما أصبح معه وجود هؤلاء الخبراء لا معنى له. ولقد انتهت عقود هؤلاء الخبراء معنا ولم تجدد لهم تلك العقود لعدم حاجتنا إليهم بعد استيعاب رجالنا للمعدات الفنية المختلفة».

وأكد وزير الدفاع السودانى أنه ليست هناك أية آثار لقرار إنهاء خدماتهم على الأداء فى القوات المسلحة السودانية.. وخاصة أن أعدادهم كانت فى حجم صغير..

●●●

●● وعلى كل.. فإن قرار السودان لم يشمل فقط النواحى العسكرية بل امتد إلى الجوانب الأخرى.. حيث شمل جميع المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والإعلامية.. وذلك عندما طلبت رسميا الأسبوع الماضى فى هدوء وبلا انفعال خلال المقابلة التى تمت بوزارة الخارجية بين فرانسيس بنج وزير الدولة للشئون الخارجية السودانى والسفير السوفيتى فى الخرطوم تخفيض عدد العاملين بالسفارة السوفيتية. لتحجيم العلاقة الحقيقية السوفيتية السودانية.. ووضعها فى حجمها الطبيعى وشكلها الحقيقى وعملها الدبلوماسى المشروع

إذ إنه ليس من المعقول أن تضم أكثر من مائة دبلوماسى.. دون جدوى.. إلا إذا كان الهدف من تواجدهم فى الخرطوم مزاولة «الجاسوسية الرسمية» أو المساهمة فى إعداد محاولات جديدة «للتخريب والتزييف».

●